

# هيام مقفوت

للكتابة : سماح اليونس

الإهداء

إلى أمي

جميلٌ أنت...كـ مطرةٍ أولى بعد أشهرٍ عجاف ، كـ نخلةٍ شاهقة  
مزهرةٍ مثمرة ، كـ حقلٍ أزهر بعد سنون من القحط ، كـ وردةٍ  
تفتحت بعدما كبرت .

جميلٌ كـ قبلة طبعها أسيرٌ على جبين أمه ويداه مُقيدات ، كـ  
شهيدٍ يبتسم عندما دخلت رصاصات الغدر لصدره وتوجته فارساً  
للجنة ، كـ وجع وطنٍ جميلٍ من بين كل الأوطان كان محتلاً .  
قلبت الصفحة وكتبت شيئاً مختلفاً ، لكن دون جدوى أيضاً ؛

جميلٌ أنت كجمال كل شيء جميل ، لا يحده الحدود ...جمال كحد  
السماء أي بمعنى للحد الذي لا حد له  
ترى هل أدركت حجم جمالك ؟

## نطقت ففضحت

كانت عيناه مُزرقتين لدرجة رقّتا قلبها رقّةً ونصف الرقّة، تداعى عنده قلبها ليُرزق بزرقتهما قليلاً، لتمتلك لون السّماء الصّافي، المُتخالِج على البحر، اللّون الأزرق، لون الحُبّ الجارِ في قلبها له، لون القلب الغارق في بحر هَواه ، لون عيناه الغارقة هي بهما .

ذات يوم التقيتا تحت تعانقا تحت أريكة الهواء، تحت ظل الشجرة، وطيّف الغيمة، كانا في منتصف النهار اللاهب، وسط تموز أو يوليو لا أذكر تماماً، كانا على مرأى النجوم ومسمع النرجس والياسمين، ومع تسابق نسيم القهوة المليء بحبيبات الهال، شدّا على ظهور بعضهما لثُوّزر، مدا الحلم ليُعْطِ هيامهما،

وافترشا قلوبهما لتتهاافت نحو عنان العشق، ترتفع وتنخفض  
على أوتار دقات القلب، ناداهما باسمها فرد عليها مُسرِعاً باسماً  
"قلبه" حينها استيقظت من شرودها الماحق بها وصرخت  
بصوتي "لازلت أُحبّك" ، أثناء اللقاء انعكست أشعة الشّمس  
الذهبية على عينيّه، كان مُظهِراً جفائه لها، لكن! انعكاس  
الشمس فضحه، حينها ظهرت صورتها في عينيّه تلقائياً عند  
تبسمه، لم ينطق عينه التي نطقت، صمتت ونطقت ففضحت .

## إلى الذي

في لحظة ضعفٍ نظرت إلى مكتبتي الخاصة ، التي بها كُتِباً  
ملأتها الغبرة ، والعنكبوت المٌهندس اعتلى مجده عند زواياها ،  
وأخذ يبن بيوته وبيوت أولاده ، وضعت يدي على رفوفها أو  
بالأحرى رفيتها المكتظين بالكتب ، والتي أحسبها كُتِباً بالية على  
الرغم من أنها تعود لأناسٍ عمالقة الأحرف ، وأصحاب الحبر  
للأقلام ، وقفت لوهلة أتأمل وحدة كتبي ، بعدها عني وبُعدي  
عنها ..

وقفت مكتوفة الأيدي ، أستحقر نفسي لأنني أهملت اللُغة التي  
مُجِدت ، تلك اللُغة التي حلقت كطائر النورس في الأعالي ،

هممت لإعادة النظر بالكتب ، أمسكت الكتاب الأول فوجدت في إهدائه:

:"إلى الذي شجعتني على الكتابة ، وواصل دعمه لي ليصبح اسمي ككُتّابٍ كثر ، إلى الذي حببني بالكتابة ودعمني لجعل القلم في يدي كما السلاح ، إليك عملي الأدبي الأول ، نسيت القول بأنّي أحبّك " فتركته وتأمّلت ذاك الكتاب كثيراً ، ماذا لو كُنّا نملك رفاق قلبٍ هكذا ، بل رفاق نجاح ، لنعلو كما يعلو الطير للعلا ، لنرسم مستقبلنا بأيدينا ؟

## رغبة مُلحة

"...كلّ مرة كنت أتجرّع الألم كان بجانبى ، لم يقوى المرض علي ، فلم أكن وحيدة ، كان معي في روعي وبجانبى .لم أهزم ولو لمرة ، كان يمسك بيدي ويقول "نحن الأقوى " ، كلّ من حولي ازدادت غيرتهم تجاهي .

كنت ممتنة لله على وجوده بقربي ، كان لا يغفو حتى أنام ، ولا يضحك إلا حين أضحك . في كل مرة كنت لا أفضل النظر للمرأة كان يخبرني بأي لا زلت جميلة . اصفرت عيناى، أصبحت نحيلة جدا ، فقدت شهيتي بالأكل، شحب وجهي و كثرت بثوره وذهب كلّ جماله ، شعري تساقط وأصبحت صلعاء ، تعرّى رأسي بالكامل من الشعر كنت شمطاء ومنزعجة من ذلك لكني الآن أتمنى لو تعود خصلة شعر . عدا عن علاجه المؤلم والذي يجعل الخلايا تحترق ، وكان أعصابى أوقدت النيران بداخلي والعلاج

وقودها . بالرغم من ذلك كآه كان يقول لي "لا زلت جميلة الجميلات" أظنه يكذب قليلاً، لكن لا بأس من الجرعات الإيجابية .

أذكر آخر جرعة أخذتها كان معي ماسكاً ليدي ، كنت متألّمة جدا لكني سعيدة بانتهاء هذا العلاج البائس ، لكن فرحتي لم تكتمل لأن بخطأ طبي سقطت قطرات من الكيماوي على جلدي فاحترقت يدي ، مسكتها الممرضة وحاولت التخفيف عني .

قلت لها قد احترق قلبي ورحل شعري فلا مشكلة لي .

وفقدت أيضا قدرتك على الانجاب-أجابتنني بابتسامة خائفة-

وهنا كانت الصاعقة ، لأنني تحملت كل فترة العلاج من أجل سماع كلمة "ماما" وها أنا الآن أفقدتها .

فقدت وعيي بكلّ شيء ، شعرت بأنهم يحركوني ، وأن الماء انهالت قطراته علي و سمعت عويلاً وآخرين يبكون ، لكني لم أستيقظ . دخلت إلى عالم أسوداً وفي نهايته نوراً سرت تجاهه كان طريقه طويلاً ، فوجدت في نهايته زوجي حاملاً بين يديه ولداً عندما رأني قال ماما ، احتضنته وقبلته ، لم يلبثا لدقائق ورحلا ، ووقعت في حفرة طولها متر وعرضها متر أغلقت علي وانصرفوا، رحل إلى عالمهم الحي ورحلت إلى عالمي الميت  
" ...

## وأقول: "أحبك"

مُتِيمة في هواك، راغبتك للأبد، سامعة صوتك البعيد، راقصة على أوتار قلبك، مُسماة على اسمك.

أخذت قلبي رغباً عني، سرقتة، اختلسته، لربما اقتبسته برهة، لكنه الآن ينبض بين كفيك، يغفو على راحتك، ويستيقظ عندما تشرق شمس اليوم، أتعلم متى؟ عندما يُبصر النور عينيك، ويتسابق إشعاع الشمس لتشرق الأرض، تُغرد الطيور على ضحكتك، وتتمايل الأشجار خجلاً على كلامك.

تراك حملت الكون كله في عينيك، أنت الأرض التي أسير عليها، والكون الذي أعيش به، والقمر الذي يُشبهك جداً، والهواء الذي أنتفسه، والسّماء التي تحوي كلّ ما سيُذكر الآن وبعد دهر...

الطّقس الذي جمعنا يقترب، المطر يقترب، والعشق أيضاً، أُحِبّ  
ذاك الطقس لأنّ كل تفاصيله تُذكرني بك، تنادي باسمك، المطر  
يُشبهك، والثّج، الشّتاء يعطائه هو أنت.

الليّلة ماطرة كما قال الراصد، لكنه لم يقل أنها دافئة لقربك مني،  
وجودك هو فاكهة الشّتاء، تفاحة قلبي، كُرهنّا يشعل الوقود  
لنحتم من البرد، وقبلاتك المسروقة تُحيي الروح بي، لمساتك  
لوجهي البارد تُدفئه، وتوقد نار الحُب لقلبي، وتزيد سرعة دقات  
قلبي، أحب القوقعة في قلبك، بقربك، أُحبك حد اللاحد، أُحبك...

## حُبّاً ثوريّاً

أحببتك حُبّ تشي جيفارا لكاسترو كان حُبهما مُرتبطاً بقضية حلّها يكمن بالحرية، أحببتُ طريقتهما في الدفاع عن الأرض فكان يُمثل حصاداً ثورياً مُتجذراً بالقلب مُرتويّاً بالدم الثائر ، عشقتُ كلامهما المنمّق لبعضهما، وصمودهما في وجه العدا وتحديهم لفكرة الخنوع ، كان ذلك يُماثل رسائلنا التي تنبض باسم الثورة والوطن ، ناهيك عن تشبّث أيدينا لمواجهة كلّ ما يقف في طريقنا الحرّ، كانا رفيقين مُخلصين لبعض، كانا صاحبا ثورة باقية وفكرة خالدة وحياة لا تنتضب .

ما أريده منك هو نزاع روحك إلي ، وترابط قلوبنا مع بعض وحضناً ثورياً باقياً مُتصلاً كتصلّب المسيح ، متدفقاً عبيره كالورد الأحمر ، ثابتاً كالمنجل والشاكوش .

أُحِبُّكَ حُبَّ الْفِكْرَةِ الْحُرِّيَّةِ، أُحِبُّكَ حُبَّ النَّوْرِ لِابْنِهَا الصَّادِحِ ،  
أُحِبُّكَ حُبَّ النَّوَارِ لِلنَّوْرِ .

## رسالة لأبي المريض :

مُنذ زمن بعيد ، حينما كُنْتَ صغيرة أو لازلْت ، حينما كُنْتَ  
أمرَضَ كُنْتَ تقول: "إن المرض عافية" أو "كفارة للذنوب" هذه  
المرّة اختارك المرض لثُبُتَ أنّك الأقوى ، لثُبُتَ أنّك ستبقى  
الأقوى .

أباه ، ربّ هذا البيت ، عميد الأسرة التي تتكوّن من خمسة أفرادٍ  
غيرك ، غزا الشّيب شعرك بقوة ، وانتحل الضعف أنسجة  
جسدك ، لكنك تحاول تجنب تلاشي الضعف ومواجهته .

لم تكن يوماً بالهزيل ، حتّى حينما ضجر التعب من جسدك  
مسحته بقوة صلبة ، وعزيمة قوية ، تصدّعت القوة من ثنايا  
جسدك وانساب بينهما الكسر كما ينساب الماء على الأرض

المائلة ، لكنك ستبقى قوياً بالله ، قوياً لأن الله معك وتأخذ من  
جبل قوتك حفنة لنقوى .

أبي ، ستبقى أقوى رجلاً في عيني ، ستبقى الضلع الثابت لي  
الذي لا يكسر ، ستبقى كل شيء "   
ابنتك المخلصة لك دائماً .

٢٠١٩-٧-٢١

## أكتوبر

في أول مَسَاءات شهر أكتوبر، ودت تجديد العهد الذي جمع بين قلوبنا، والوفاء الذي آلف بين قلوبنا ، ودت سماع كلمة "أحبك" بين كلامنا كما اعتدت عليك، وسؤالك "كيف كان يومك" هذا السؤال الغني جداً بالحب بالنسبة لقلبي، أحبه منك كثيراً...

أردت لو نتعاهد مرة أخرى على أن البُعد لو فاق الحدود كلها لا يفوق حبنا، ولو كان بيننا البحار السَّبع نبقى رهن الغرق في قلوب بعضنا، ولو ازدادت حدّة النزاعات بيننا لكان وجودك سبب الصّح، ولو انشغلت كثيراً اخلق لي ثانية عابرة لسماع دقات قلبي حينما تنبض بقربك ولو اجتمعت الدنيا بظروفها اللعينة على

فِرَاقِنَا، لَكِنَا أَقْوَى مِنْهَا بِكَثِيرٍ، وَكُنَّا عَلَى عَهْدِ الْقَلْبِ وَكَانَ قَلْبِي  
لَكَ وَقَلْبِكَ لِي ...

مَاذَا لَوْ تَعَاهَدْنَا عَلَى ذَلِكَ؟ هَلْ سَيَجْمَعُنَا الْحُبُّ لِلأَبَدِ؟ مَاذَا لَوْ  
أَمْسَيْنَا وَأَصْبَحْنَا عَلَى كَلِمَةِ أَحْبَبْكَ؟ وَمَاذَا لَوْ الْبَعْدُ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى  
بَعْدِنَا؟

أَتَعَاهَدُنِي بِأَنْ تَكُونَ هَكَذَا؟ وَسَأَكُونُ لَكَ الْوَرُودَ الْمُنْتَوِرَةَ فِي دَرَبِكَ  
الْمُشَوِّكِ، وَنَسِيمَ عَيْبِكَ الشَّدِيءِ؟

أَتَتَعَاهَدُ فِي هَذَا الْيَوْمِ الْمَلِيءِ بِالْحُبِّ وَنَدْحِرَ مَاحِلَ عَلَى قُلُوبِنَا؟

## رحلتُ ورحلوا

"كيف لقلب يستوطن مكاناً خاصاً في جسدٍ ما ويغادره؟"

اليوم لا أعرفه ولا أعرف مالتاريخ ولا الوقت الذي جرى فيه ذلك ، لكن حدثت الصاعقة بعدما كنت في قمة وعيي ، وقعت على الأرض وفقدت الوعي لا أعرف ما السبب ، تضارب الكل من حولي ، سارعوا لإنقاذي لكن دون جدوى ، رقدت في مكان محدود ، بين طياته حُمِلت ، فقدت حرارتي أصبحت صفر أو ما دون ذلك ، ضغطي بات صفرأ ، قلبي توقف عن العمل ، أصبح خطأ مستقيماً لا يملك أية تعرجات أو منحنيات ، وعقلي الذي كان يسيطر علي في أوامره لم يصدر أمراً بوقف الموت واستمرار حياته ربما كان الأمر خارج نطاق السيطرة .

وضعت في المكان الذي قطنت فيه ، ذاك المكان الذي كان  
مملكتي وكنت من أتحم به ، حسناً !

سمعت بكاء من هنا وعويل من هناك ، تضاربت الأصوات حول  
سمعي ، كل اللذين أحبهم ويحبوني حضروا ، كل اللذين ابتسمت  
في وجوههم جاءوا .

سكبت قطرات الماء علي ، واحتوت جسدي ، كنت أسمعها-التي  
غسلت جسدي وطهرتني- تقرأ عليّ وتدعي لي ، لبست الثوب  
الأبيض وتعطرت من العطر الذي أرغبه ، تسرح شعري ، ثم  
أغلقت عيناي ، ظنوني أنني لا أرى ولا يعلمون أنني أراهم  
وأخرى شيئاً أجمل من دنياهم .

حملت على الأكتاف أو بما يسمى التابوت ، وخرجت من البيت  
إلى المسجد للصلاة علي ، لكن روحي بقيت معهم وتحوم حولهم

ثم وصلت إلى البيت الذي سيكون جسرا وأعبره لأصل الآخرة  
حيث الدار المستقرة والحياة الرغيدة .

ألقوا علي نظرة الوداع ، وضعت في القبر اتجاه القبلة وأغلقوا  
الباب علي ورحلوا."

## المُخِيمِ

سكنتُ في المخيم رُغماً عني، أعطوني اسماً لا أرغبه، وحلماً لا أحلم به، ثياباً بالية كسنتي، وبقايا الطعام أشبعتني، خياماً مُهترأة لا تقوى على الثّبات وسط تموز، مُثبتة بحبالٍ متينة؛ لكنها لا تتحمل الزمهريرا.

لم أرغب المخيم يوماً، ولم أحتمل ظروفه، نجلس عائلات مُكدسة فوق بعضها، لا عورة مستورة ولا حرمة محظورة، أحلام تُبنى وتقف عند نافذة الهاوية، لا تُحقق ولا هم يحزنون.

صار المُخيم عنواني، صار مسكني حتّى وإن كنت لا أرغبه، أمشي بين أزقة الحزينة العارية للمقومات الإنسانيّة، لم أنشئ وسط بيئة يتخالها مياه الصرف الصحي كالنهر المُصدع لظاهر الأرض.

لم أقطن في بيئة لا تحمل الاسم الصريح، كنت في بلد عظيمة  
أنجبت ثلثة من الشهداء والأبطال، حملنا العزم على ظهورنا  
عندما طردتنا البلاد، طردنا من البلاد الأصلية للبلاد التي بقيت  
حاضنة لأحلامنا وأنفسنا، كبرنا وترعرعنا على كلمة لاجئ،  
نُفيت من وطني إلى وطني لكنني بدون كرت المون أبقى صفرأ  
على اليسار.

حملت البلد بالكف الأيمن، والمخيم باليسر، فإن لم أرغب  
بالعيش فيه لكنّه حماتي من غدر البلاد لبلدنا، دفع عني الشر  
والبؤس، لقد كان خيراً من بلدنا الأم، حتّى استشرقت فجر  
الحرية وُعدت إليه باسمه مُشتاقاً.

لقد أحببت المخيم لأنّي سكنته معك، فتحت سقف الخيمة  
المتطايرة لا فرق بيني وبينك، أنت همك لبلدك وأنا بلدي هي  
الهم، أنت طردتك البلاد لجوفها وأنا لرحمها، أنت تركت الدنيا

لأجلها، وأنا بقيت على العهد لأجلك.. لم أحب المخيم بقدر ما  
أحببتك، أحبك كما البلاد أحببتنا، كما حَضنتنا.

## الكنفاني وأنت

وإني لأشبهك بكنفاني ، أترأه العملاق؟ والذي استطاع إيصال  
جوهر القضية للصغير والكبير ، لمن في المهد إلى من في اللحد

.

إنه الكنفاني غسان ، صاحب القضية ، لسان صوت الحق ،  
القوي الجبار الذي لا يهزه طواغيت الزمان .

ذاك الرجل العظيم الذي قيل في رثائه "لو دخل الجنة أو النار  
سيحك ويوصل القضية لسكانهما "

-ستقول ما وجه الشبه ؟

حسناً ، تعال لنحكي قليلاً :

لقد أخبرتني بأنك ، رافضاً للذّل والخزي للأمة العربية ، صاحب الحقّ والذي لا يموت أبداً ، ذو الحنجرة الذهبية المغنية بالعروبة الأصيلة ... صاحب الكتابة الحرة بالقلم الحر .

يا من تكتب كلماتك الحرة ، ولا تهاب النتائج ، ويامن نطقت الحق في وقت عزّ فيه ، وحملت لقب رجل الوطن ، في وقت كثر تجاره ، وحملت على أكتاف رفاقك لتقل الصّحيح .

رجلٌ وطنيٌّ حرّ أبيّ مدافع مناضلٌ ، أعرفت ما قصدته ، ولو بقيت أقارن بينكما لما انتهيت ، كلاكما عظيمان ، الأول خلده التاريخ والآخر على الطريق ، فصاحب صوت الحقّ والكلمات الحرة لن يموت ولو بعد مئة عام .

## ياجدى الأقصى

ذهبت ذات يوم بصحبة جدي إلى المسجد الأقصى المبارك ، عند  
دخولنا حدود تلك المنطقة هب نسيم عليل يضاهاي نسيم البحر ...

أوقفنا جنديّ لعين وطلب الهويات ، تذكرت أنني نسيت شهادة  
ميلادي كوني لا أحمل الهوية !

وبعد الكثير من الصبر والأمل اجتزنا الحاجز ، ووصلنا إلى قلب  
المدينة المباركة ، هنا البلدة القديمة ، حيث حكايات التاريخ  
وقصص البطولات سُطرت على صخورها وأتربتها ، في أزقة  
البلدة العتيقة جنود من هنا وهناك ، يحملون الرشاشات ... تجد  
مستوطناً لا يتجاوز الخامسة عشر من عمره مدججاً بالسلاح ،  
في الجهة الأخرى تجد امرأة متحديّة البغي صامدة كشجرة زيتون  
، تبيع أوراقاً من الزعتر والنعناع ، وأيضاً تجد محلاً صغيراً يباع

فيه أزياء من التراث الذي لانزال نحافظ عليه رغم محاولات كثيرة  
من الطمس والتهويد !

هنا حيث القبّة الذهبية اللامعة أمامك ، هنا يسكن الحب ويرقد  
الأمن والأمان هنا أولى القبلتين وثالث المسجدين ، مسرى  
الرسول العدنان ... وصلنا إلى البقعة التي ظلت شامخة في وجه  
العدا متحدية كل محاولات التهويد !

بعد يوم كامل من العبادة والاستمتاع بتلك المناظر ... أيقظتني  
أصوات البكاء و العويل من قبولتي لأسمع نبأ وفاة جدي ...  
اللغة الكبرى على المحتل الذي حرمني من القدس ومن جدي !

2017-8-6

## غُنَيَات فيروز

السّاعة الآن الثالثة إلّ اربع .

صوت فيروز يدوي في غرفتي مصافحاً الجدران ، وقفت على الأطلال قليلاً مع أنغامها حينما قالت :-

"اعطني الناي وغني"

تذكرت أنّي أتقبّل منك كلّ شيء ، صوتك الجميل بعض الشيء  
والذي كنت تغن لي عندما أحزن -نادراً ماحدث- كان شيئاً عظيماً  
عندي ، لأنك تحاول أن تُفرّحنني حتى ولو بشيء بسيط .

وقالت :-

"بكتب اسمك يا حبيبي عالخور العتيق "

"هيذا حبيبي إلي اسمي بيهمسوا "

جاء في ذهني حبي الشديد لك من شدته أنادي عليك في شرودي  
ويقظتي و أردته أن يكبر ويكبر أكثر فأكثر .

ولم تكف فيروز عن وصف الحب ؛ فقالت :-

- "أنا وشادي غنينا سوى لعبنا على الثلج ركضنا في الهوا"

تذكرت همساتنا للتخطيط لمستقبلنا القريب البعيد ، الذي يتكلمه  
حياة مشتركة مبنية على التفاهم وأساسها الحب والرضا لتدوم  
السعادة .

وأيضاً قالت :-

- "إمي نامت ع بكير ، وسكر بي البوابة وأنا هربت من الشباك  
وجيت لعند العزابي"

تذكرت نفسي حينما كنت تحتضنني بكلامك ، وتسمع لأدقّ  
أحاديثي ، وتعيد البسمة على وجهي بأبسط الوسائل ، المهم أن  
أكون سعيدة .

وقالت مجدداً :-

- "كبر البحر وبعد السما .. بحبك "

هذه كفيلة لبثّ السعادة في روعي ونمو حبّك أكثر فأكثر ، كلما  
كنت أسمعها كنت أغالطها وأقول :- "بحجم جمال وقباحة ،  
واتساع وضيق وفرح وحزن هذا العالم أحبّك ، بحجم الحبّ الذي  
بيننا أحبّك .

أيّ عزيزي ، فيروز غنت للقلب ولدقات القلب ، غنت للطفولة  
وللحبّ وللبعد ، لكنّها لم تستطع وصفك أو الحديث عنك ، فأنت  
النور الذي يسطع وسط عمتي ، القوّة التي تهزّ عرش ضعفي ،

السعادة التي ترمي كومة حزني ، الملجأ الذي أتخذه حينما  
أضعف ، الوطن الذي يحتضنني كلامه الطيب الذي أحبه واعتدت  
عليه ، إنك العالم بأسره المتقبلاً لي بكل سيئاتي ... إنك قلبي ،  
إنك كل شيء.

فيروز غنت لكل شيء سوى القمر ، أي سواك يا قمر سمائي  
وقمر قلبي .

## يالعارنا!

عقب انتهاء المسيرة المُنذدة بالجرائم الصهيونية، تجمّعن قُرابة السبعة أو عشرة من النسوة وجلسن.

سبقتي فضولي لأتحدّث معهن، وجدتهن سيّدات كبيرات في العمر فإن لم أكن بعمر أولادهن كنت بعمر أحفادهن، اقتربت إلى إحداهن وهمست في أذنها :- "أأنتِ أم شهيد؟"

لم أعرف كلامي لأنّي مُتلكئاً في سؤالي، فلم أكن مُتأكداً من سؤالي.

نظرت إليّ نظرة فخرٍ وهزة رأسها، ضحكت التي بجانبها وقالت لي: "هنا مكان أمهات الشهداء"

شعرت بأنّي صغيراً جداً أمامهن، فلم أكن واثقاً من سؤالي عن ولدها، فكيف لي أن أتحدّث معها عنه؟ انسحبت على الفور بهدوء...

جلست بمفردي أشرب قهوتي و أتساءل :

-لماذا ننظر نظرة حزن لأم الشهيد؟

-أليس من حظها أن يكون ولدها أمامها في الدنيا ثمّ صعدت روحه تحلق في الجنان؟

عاودت السّؤال لنفسي :

-ألا يوجد شيئاً مُميّزاً في أم الشهيد؟

تذكرت مجدداً النسوة اللاتي رأيتهن، تمعنّت النظر في مُقلتيها وجدتهما لامعتان جداً كأنّ الجو صافياً مُشمساً، خدهن متورداً

فيه انعكاس دم ولدها، و يديهن كَنّ ناصعتا البياض رُبّما لأنّها  
لامست وجنتيه، ابتسامتها تعيد الألاجئ لوطنه.

وفي ختام الورقة كتبت:

"تبحث عن الوطن وأم الشهيد موجودة، يا لضعفنا يا لعارنا"

## دخلت بلادي

أخيراً وبعد طول انتظار بدونك، زُرْتها، عانقتها، قبَلْتها،  
وقفت على أطلالها أراقب الطيور المُغَيِّة لجمالها، حتّى البلابل  
المُطَلَّة على أسوارها تصدح ببهائها وحسنها، إنّها البلد التي لا  
تجهل زوّارها، البلد التي تعرفك بدوني، حيفا .

وقفت على شاطئ رمليها المكنون عند عينيك، راقبت صفوهما  
جيداً، تُغمض عينيك ويقترب الجفن منهما كتلاطم البحر الذي  
وقفت أمامه، ابتلت رموشه الذهبية، والتي اشتعل لهيبها من  
أشعة الشمس الذهبية التي تعكس لون العسل في عينيك. صفاء  
البحر يُشبهه صفاء عينيك تماماً.

حيفا تحدّثت معي كما أنت، لامت عليّ لبُعدي عنها وغضبت  
منها لأنّها رفضت استقبالي، حيفا جميلة جداً مثلك تماماً،

تُشرق شمسها فيضحك نهارها، وتغرب عنها وينير قمرها  
فيضحك ليها ، وأنت تُشرق شمسك صباحا وتغدو وراء نهارك  
باسماً ويغرب عنك ساعياً أن تُزَيّن ليك بضحكات مبعثرة .

ظلت مُتأملّة جمالها كما لو أنك كنت أمامي، لازل جمالها ثابتاً لم  
يتغير مهما طال به الزمان، ولازلت جميلاً ومهما بلغت من الكبر  
عتياً ، عدت إليك لأخبرك عن حيفا، فوجدتك هائماً بها أكثر مني  
، بعد بُرْهة وجدت طيفك راحلاً كما رحلت عن حيفا وبقيت  
أرتشف القهوة أمام صورك المعلقة على جدران قلبي...

فأين حيفا عني؟ وأين أنت عني يا حيفاوي فؤداي؟

## أملى المشرق

تحدّث إليّ وكأني أمله المشرق وضلعه الثالث ومقلّة من مُقلتيه،  
وسرّ إليّ كما يسرّ الولد لأمه .

كان يقول بأنّي الرّوح البعيدة عن عينيّه القريبة من قلبه وروحه  
عقله ، لم يكن يُخفي عليّ أيّ شيء حتّى دُهِش من خيال معقود  
بوهمٍ وتخاريف باطلة لينقلب رأساً على عقب .

لينقلب حُبّه لكره وعشقه لبغض ، ويُعقب على ذلك بُعدٍ ممزوجاً  
بهُجران لا عودة فيه ، ونُزوحٍ لا نُزولٍ فيه .

هاجر الطائر المُغرّد لقلبي وترك عُشّه بارداً ، يتفقّد صدّاحه ،  
اعتنق عقدة حَاجبين لا يضحكان ، وعينين لا بريق فيهما ،  
وضلعٍ مكسورٍ مائلٍ لا يُستند عليه ؛ لقد قُلب وتدهور حاله لا

إصلاح ولا صلاح فيه ، حتى أنه تغيّر بشِدّة، لقد أعطى عقله  
الصّلاحية للنّسيان و السّلوان .

أُسِر في قلبي في سجن قلبي خلفه قُضبان عشقي له وتركتني  
أنتظره أن يُحررني منه وأعود إليه ، رحل هو هامّ لنسياني  
وترك ذاته في فُؤادي عازماً على بقاءه ناسياً نسيانه .

## على لسان مُطارِد

"أمي الغالية ، الإنسانية التي انقطعت إرباً لأجلها ؛ يحلّ الصباح والمساءً عليّ ؛ لا أشعر بهم لأنك لستِ بجاني ... تذكرين يا أمي حينما كنتُ أنزعج منك عند إيقاظك لي باكراً ، حسناً أريدك اليوم بأن تُيقظيني هكذا -باكراً- .

أمي الجو ماطراً جداً وبردته قارصاً ؛ منذ أن خرجتُ من حضنك وأنا أرتعش من البرد ؛ لم أجد لحافاً يقيني من شدة هذا البرد الظالم ...

تذكرين يا أمي حينما كنتُ أغضب عندما تحضرين طبخة [المفوف] أقسمُ لكِ بأنّي شرعتُ أشتهيها ، ف والله سئمت من الزيت والزعر ورغيف الخبز الناشف وحبّة البصل التي ترافقتي بحياتي الجديدة !

أُمي أخبريني بربك ! أليس السّجن أحقّ بي من البراري ؛  
أصبحت حياتي مكلّلة بالتّنقل من بيت لبيت ومن سطح لآخر ،  
أشعر وكأني وصمة عار ، أختبئ من الجميع بالرّغم من أن  
عملي يرفع رأسكم ورأس وطننا الغالي ، أخاف من أن يراني  
أحد ... عيون المولى ترعاني يا أُمي وأعلمُ ذلك !

أليست الجنان تُطاب للشهداء ؟

حياة المقاوم ليست بهينةٍ يا أُمي ؛ أعلم أن أجرها بقدر تعبها ،  
لكني والله جفت أطرافي من شدة البرد وأشتعل الحر بجسدي ،  
تعبت من ملاحقة الأمن والأمان بين الأشجار ورؤوس الجبال !

أرغب في حياةٍ رغيدةٍ هنيئةٍ ؛ حياةٍ لا أرى فيها خوف ولا ظلمٍ  
ولا حرٍ ولا بردٍ ولا زمهيرا ، أريد حياة تليق بي ، حياة  
الشهداء الأحرار في جنات الخلد عن الرحمن العظيم .

لا عليكِ مني يا أمي ؛ أخبريني بربك ، أما زلتِ تصرخين على  
إخوتي إذا أخلوا ترتيب البيت ؟ أما زال أخي الصغير يزعجك  
طيش شبابه ؟

تعلمين إنني أشتاق لكم ، آآه يا أمي وألف آه !

أعيش في غرفة تملؤها الرطوبة ، غرفة لا ترى نور الشمس  
ولا ضوء القمر ولا أشعر حتى بوقوع حبة المطر، بلاط مُهترىء ،  
حيطانٌ وسقفٌ بالية.

لكنّ هذا العالم اتسخ بما فيه الكفاية يا أمي ، وتزاحم بالندالة  
والخيانة ، لم يعد للشرفاء متسعاً هنا ، الجنة تُنادي على أهلها  
والجهاد هو الوسيلة ، وضعت القدس في قلبي وجعلتها بوصلتي  
، هي التي كُـل الطّرق توّدى لها ، وهي العروس التي أود  
للزفاف إليها .

أشفاق لحضنك الدافئ ، لطعامك ، لك ولعيونك ولابتسامتك ،  
أعلم أنك فخورة بي ، ولا زالت دعواتك ترافقني ، فبسبب  
رضاكِ حوصرت وحوصرت لكني أنجو بأعجوبة ، أطلب منك  
عند سماعك لنبا استشهادي أن تترغدي وتصرخي بأعلى صوتٍ  
تملكينه "صرت ام الشهيد" لا أريدك أن تبك فدموعك غالية  
كالوطن ، وعيناك يحق أن يرقصا فرحاً.

أريد النوم بسلام ، الجنة للمجاهدين ، لأصحاب الحق ، لمن  
تغلبوا على شهواتهم ، وأنا أحاول جاهداً التغلب على وساوس  
الشیطان ، على وساوس موسادهم ، وعلى أصحاب الضلال.

أمي تعلمين كم أحب وطني ، وكم مرة قلتها لك بآني سأجعلك أم  
الشهيد ، وصيتي لك أن تبقي سعيدة حتى بعد وفاتي وأن لا  
يتبنى أحداً شهادتي ، سامحيني يا أمي ...

أريد أن أصبح بجوار الرفيق الأعلى ، لا حزن ينتابني هناك ولا  
هم يصيبني ، لا جوع ولا مطاردة ، ولا حتى دماء تُدرف مني.

لا تحزعي على شهادتي يا أمي فإني من تراب هذا الوطن وعليه  
عِشت وإليه سأعود .

أعدك بأن أبقى على العهد سائراً وإنه لجهاد نصر أو استشهاد...  
لا تنسيني من دعواتك يا عيوني ...

أحبك يا أمي

## ذكريات أسير

كنت خارجاً من أزقة البيت الخائقة ، الجوّ مطرٌ بعض الشيء  
والبرد يقرع عظامي، كانت أمي تُعدّ لي طبختي المفضلة  
"المقلوبة"، أخبرتني بأن لا أتأخر ، خاصة أنني في مرحلة  
الثانوية .

ذهبت حينما اتفقت ألتق برفاقي، نفضنا الغبار الغاشم عن  
عيوننا، وركضنا نلهو كأطفال الروضة، كنا في أشدّ مراحل  
الضّغط النّفسي، سرنا مثلهم .

لكن فرحنا لأبَد من محوه، لأبَد من عرفاته، آليّات إسرائيلية  
دخلت أركان مُخيمنا الصّامد، غشت على فرحتنا، أمطرنا  
بالمُسيل، صرنا وكأنا وسط ضباب كثيف، سمعت أمي أنهم  
حيث أنا ، هرولت إليّ ، لتُحاول إزاحة ظلمهم عني .

كانت تركض في الفناء، بحذاء أخي الصّغير والقدم الأخرى  
عريانة ، وشعرها يتراقص في الفضاء، لقد نسيت حجابها .

فُيِّدت حُرَيّتي بسلاسلهم الصّدئة، وعميت أبصاري بقطعة قماشٍ  
قَدِرة ذات الخُروم الكثيرة .

في عزّ البردِ القارِص ، خَلعت ثيابي قسراً، ذِراعِي كانتا خلفي،  
صُلبت ، أبرحت ضرباً ، وصلتني أمي، ورأتني في أسوأ  
حالاتي، لكني لم أهزم . اقتربت من الجندي، لكنهم صفعوها إلى  
الأرض.

بكت لكتها سُرعان مارممت ضعفها ونهضت .

في أعقاب ساعاتٍ ركبت البوسطة ، حاولت أن تلحقني لكنّ  
سرعتهم كانت لعينة ، اختفت أمي وصوتها وأنا انتقلت إلى تحت  
أعماق الأرض، إلى أفسى أماكن الجحيم ، إلى عُرفة التحقيق ...

ولا زال صوت أمي يدوي على مسامعي وهي تقول لي :- "إذا  
بتركع ترجعش لعندي"

## الكادح المكافح

-تُقَرع على مسامعك صرخات المُنبه -الآمر غوب بها- تنتظر  
رحمتك في إيقافه ؛ليخلد في سلام ، تُزيل الحُزن الذي أواك  
لساعاتٍ قليلةٍ فصلتك ما بين مساء يومٍ وغدو صباح فيه يُحيا  
العمل .

-تُباشِر في تحضير نفسك، حمل أغراضك اللازمة، تُجهز أمورك  
و تنطلق إلى أرض جهادٍ تنتصر بقرشك الحلال منها ، رياح  
عاتية تُحاول هزّ جبروتك لكنك تَأبى ذلك ، أشعة شمس لا فائدة  
منها تُحيي فيك حنين الإفلات لكنها تندحر منك مُسالمة خائبة .

-الروح التي بداخلك ترفض كُلّ مُغريات الكسل، تُجدد آمالها بك ،  
تثق بأنك تستحدث قِواك ، تُجمَع طاقاتك ، تُرمم رُكامك الخائر ،

تحمل على رأسك هموماً أكبر منك سناً وبذات الوقت تتأصل بأنّها  
مهما علت فلن تعلق عليك !

-أدري بأنك تقرأ حروفي تلك، ورُبّما ارتسمت ابتسامة مصطنعة  
، في فحواها كلامٌ وافر ، كلامٌ لا يخلو من التعب، لكنّ شفقتك  
تُخفق بالنّضح! لأنّك باسلٌ صارمٌ حازمٌ جارفٌ منيعٌ وكيعٌ حصينٌ  
شديد.

## أمي

سكنتُ نطفة صغيرة في رحمها، وانتظرت بفارغ الصبر لأصبح  
علقةً، وسُرت أكثر حينما أصبحت مضغّةً، ولم تهناً حتّى  
اطمأنت بأنّي أملك عظاماً، وبقيت خائفة من خطأ منها لتخسرني

حافظت على أكلها، أهدتني روحها، قدمت لي طعامي على طبقٍ  
من الذهب، شربت من دمها الجار، بيني وبينها حبلاً سرّي و  
حبّ كبير، انتظرت لتراني بين يديها وفي حضنها...جلست في  
رحمها تسعة أشهر عانت من ألم كبير، دوّار، غثيان، تعب،  
لا تقدر على حمل شيءٍ ثقيل، تعاني حتّى من صعوبة نومها،  
يوثر على حركتها، تغلبت في إختيار ملابسها، حرصت على  
إختيار الثياب الواسعة لأرتاح، كبرت بحب، باشتياق كبير،

بدموعها الكثيرة ، تسأل طبيبها عني دائماً ، عن راحتي ، هل هي مريضة؟ أتعاني من شيء؟

وعندما يحن ميعاد الولادة ، مخاض صعب ، آلام تضرب في رحمها ، تعب عارم يكسنها ، لكنّها صبرت لكي تنال رؤيتي ، مخاض ربما عسير يطول أيام وساعاتٍ عجاف ، تخاف ولكنها لا تحرم نفسها من أمومة ستجعلها سيّدة الجنان ، حضنتني عندما نزلت ، أول من رأته في ، حملتني في وسخي-من الولادة- قبلتني بالرغم من كسوتي بالدماء .

سهرت معي ليلٍ طويلة ، أرضعتني حبّها وأطعمتني دفتها ، وألبستني ضحكتها .

لآ حياة لي بدونها ؛ فلا أتخيل أبداً أنني سأصبح أماً في يومٍ من الأيام ، كبرت ولكنني لم أكبر على قدر المسؤولية ، لم أكبر على الاعتناء بنفسى وتحضير طعامى !

أبدو عصاميةً لكن بداخلي شعور يراودنى بأننى لازلت فتاة بروح طفلة ، اعتمد على نفسى ولكن بداخلي ، "أمى ستساعدنى" ، سترافقتى ستصحنى ، لن تتركنى ضائعة في بحر المسؤوليات ، وحدها حين أضعف أناديها ، حين أقوى أخبرها ، حين ابتسم وأحزن أنجح وأرسب ، فى شتى أفعالى وانفعالاتى وحدها هى القادرة على مسح دموى وخلق ابتسامة تزين محياى...دمت تاجاً على رأسى يا أمى .

## لوا!

لو عشت أنا وأنت في الزّمن الجميل ، لو عرفتك منء عام ١٩٤٠م ، لكُنّا قضينا كل نهاية أسبوع في بلدٍ ما ، لكنت جلست عند محطة الباصات في القرية لتبدأ رحلتنا صباحاً في رحاب القدس ، لندخلها سوياً ، ثم نُحوّل مسار رحلتنا إلى البحر ، إلى عكا لنزود بالقوة أو حيفا لنحمّل بالبرتقال ، و إلى جميلة الجميلات يافا لناخذ من جمالها حفنة ، إلى الناصرة وأم الفحم شمالاً وإلى النقب وأم الرّشراش جنوباً ، لكنت أحببتك أكثر بعدد خطواتنا وتعينا وبعدد ضحكاتنا .

لو عشت أنا وأنت آنذاك ، لذهبنا إلى سوريا وأخذت من  
ياسمينها وزينتني بطوق وردٍ منه ، واتجهنا إلى العراق لناخذ  
من مكاتبها كتباً واهديتني كتاباً واهديتك بدلاً منه .

لو عشت أنا وأنت لكننا عشنا عمراً سعيداً فوق أعمارنا ، لعشنا  
حياةً رغيدةً فوق حياتنا ، لكنك أحببتك فوق حبنا حباً.

تسقط الـ"لو" وتبقى أحلامنا تنتظر جُهدنا لتتسبّب ببعضٍ ونحققها  
، ونبقى نحب بعضنا

## ما أعرفه هو أني أحبك!

اليوم، لا يهَمّ التّاريخ أو الوقت بالتّحديد، أدقّ التّفاصيل هذه لا تهَم، ولا يهَم الشّعور الذي انتابني أثناء الكتابة، أو ما الذي راودني .

حسناً! لا أعرف ما المهم بالتّحديد .

بل الذي أعرفه هو أني أحبّه لحد السّماء... أحاسيس مختبئة بداخلي، كلمات مبعثرة، تخيلاتٍ كُثر، لم أعرف صياغتها، أو حتى تركيب الحروف لأكوّن حروفاً مكوّنةً لجملٍ، لتصبح خاطرة عابرة ... حاولت وجاهدت لكني فشلت مراراً وتكراراً .

-أُيعقل بأنّي اتدعي بالكاتبة وأسير على نهج "مشروع كاتبة" ولم  
أستطع تركيب حروف أبجدية سقطت أمامه؟

-هلّ الحروف تضيع مكانتها أمام شخص؟

نعم تضيع أمامه، أمام كلامه البسيط المكنون لقلبي، القريب  
منّي، كلامه البسيط الذي لا أعرف الرّد عليه؛ وأعتبره كلام  
صغير كبير؛ كبير بالمعنى، وصغير من حيث العدد [وخيّر الكلام  
ما قلّ ودل].

وهو أيضاً شخص وليس كأيّ شخص، أخي حينما أميل،  
وصديقي حينما أبحث عن ذاتي بين ركام فشلي وتزايد الضربات

على رأسي ، وحينما أتشاجر معك على أمرٍ تافه (وأحدتكَ عن حبيبي) وسندي بل جبلي الثابت الراسخ اللامنهار، وقوتي كلها بل مصدر قوتي وطاقتي الإيجابية، وحبيبي حين تجتمع فيه كلّ الذي قلته ؛ حيثما تكون يزهر قلبي وتضحك لي الدنيا ...

عجزت فعلاً ، إنني فاشلة وفاشلة جداً ، اعذرنِي ...  
ما أعرفه هو أنني أحبّك .

## أَحَبُّكَ

كعادتي كُلَّ صباح أستمع لفيروز ، الآن جاءت هذه الأغنية فهنا  
سقط الكلام في حضرتك !

كنت حينما أسمعها أتأملها وأسأل نفسي ، أيعقل أن أحداً ما  
يستحق الحب بهذا الحدّ اللّاحد له !

"يا قلبي لا تتعب قلبك وبحبك على طول بحبك"

أي نعم ،

أحبك على طول الوقت ، بعدد كروم العنب وجفاناتها وعناقيدها  
المتدلّية .

وأنا التي أعرفها لا تكذب ، وها أنا اليوم أعترف بأنّها صادقة  
ولا تكذب بقط كلمة ، لأني أملك كنزاً بنظري أعظم من كُلّ كنوز

الدنيا ، كنوزها فانية لكنّه باقٍ ، أمتلك رجلاً جعلني "سنتُ البنات" .

أنا إليّه أنتمي وبدونه أختفي وبه أكتفي ، بوجوده في حياتي استغنيت عن كلّ شيءٍ واكتفيت بضحكته .

تعال لأخبرك بشيءٍ ، كرهت هذا العالم وأحببتك أنت ، كرهت الحدود وأحببتك أنت لأن الوصول إليك يُبعثرها ، كرهت الظروف وعشقتك أنت لأنك من جعلت الظروف الصعب بهيّن ، سأترك هذا العالم وأبقى معك .

سأكون معك أنت أعمل كلّ ما بوسعي لأرى ضحكك ، فعندما أراها أغدو سعيدة جداً .

كلّ ما تحبه سأحفظه في قلبي وعيناي ، مقتنياتك ، سأفرغ لك وحدك ، وسأحبك بهدوء وجنون .

سأعلن تنازلي عن وطني واتخاذ حضنك الوطن الآمن ، والملجأ  
والملاذ ، يا موطني وملجأي و ملاذي ، يا كُلي !

أخاف عليك مني من شدة حبي ، أخاف مني عليك ، فأنا إذا  
أحببت شيئاً وعلق في قلبي ، محال أن يخرج ، محال أن أستمر  
بدونه .

يا سنين عمرنا المشتركة تعالي ، لأمضي بعمرى مع عمره  
سعيدة ، لنعيش معاً مع بعض ولبعض ...

أ ح ب ك ، ب ع دد ، ك ل ، ش ي ء ، ب ع دد ، ال و ر و  
د ، و ب ع دد، ال أي ا م ، و ال أس ا ب ي ع ، و ال أ  
ش ه ر ، و ال س ن ي ن

## فتدللاً!

"كَانَ أَقْرَبُ مِنَ الْوَتَيْنِ ، أَقْرَبُ بِكَثِيرٍ مِنْهُ ، يَخْفِقُ قَلْبِي مِرَاراً  
وَتَكَرَّراً لِأَجْلِهِ ، لَا يَسْتَقِرُّ مَكَانَهُ ، يَصُورُ وَيَجُولُ فِي جَوْفِهِ ،  
يُحَاوِلُ قَلْبِي مَقَاوِمَتَهُ لَكِنَّهُ فَشِلَّ ، وَفَشِلَّ فِعْلاً ،

لَا يُرِيدُ إِزَاحَتَهُ عَنْهُ ، يُرِيدُ أَنْ يَبْقَى خَيْرَ ضَيُوفِهِ ، لَا بَلَّ مِنْ أَهْلِهِ  
وَنَاسِهِ !

كَانَ الشَّرِيَانَ الْمُغْذِي لَه ، وَالْوَرِيدَ الْوَاصِلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَائِرِ  
جَسَدِي . كُنْتُ حَرِيصَةً عَلَى إِتِّصَالِهِ الدَّائِمَ مَعَ قَلْبِي ؛ حَتَّى صَارَ  
قَلْبِي لَا يَنْبُضُ إِلَّا بِشَحْذِ قَوَاهُ مِنْ اسْمِهِ ، مِنْ اسْمِهِ !

كَانَ قَرِيباً جِدّاً مِنَ الْبُؤْبُؤِ ، مِنْ سَائِلِ الْعَيْنِ ، وَ مِنْ عَصَبِهَا  
الْبَصْرِيِّ ،

كَانَتْ عَيْنِي تَلْمَعُ لِمُجَرَّدِ لَمَحِهِ ، أَوْ مُرُورِ طَيْفِهِ فِي مُخَيَّلَتِي .

كَانَ وَكَانَ وَكَانَ ، لَقَدْ كَانَ كُلَّ شَيْءٍ ،

لَكِنُ !

"عَرَفَ الْحَبِيبُ مَقَامَهُ ؛ فَتَدَلَّأَ "

## صغيرتي .

ها قد حلّ عليك العيد السّابع لميلادك ، والدّكرى السّابعة لوفاتك  
... ساعات معدودات ما بين مخاض أليم عقب ألمٍ شديد طيلة  
تسعة شهور في رحم أمي، وبين وفاتك لتحلّقي في جنة الرّحمن

.

## أي صغيرتي .

لست ممن حملتك ، أو أكلت منها الحديد أو تغذيت على دمانها،  
أو رقدتي في رحمها ، ولست ممن تحمّل ركلاتك وتحركاتك، ولم  
أكن التي ذهبت للطبيب لأتابع آخر أخبارك ، لست أمك لأبك عليك  
لهذا ! لكنك أخذت عقلي وقطعتي قلبي، فكنت أنتظر طفلة صغيرة  
ترين بيتنا بضحكاتنا.

ربما لا تسمعيني، ويمكن لا تعرفيني ، لكنني أذكر أدق ملامحك  
البريئة، وجمالك الطفولي ، أذكر ابتسامتك وحركة يديك لا تغيب  
عن ذهني ، جرح عمليتك ، والوحمة التي طبعت على خدك ...  
أذكر أيضاً أنهم وضعوك على سريري .

أمل ، والتي اخترنا اسمها بمفردنا ، لتعطينا أملاً بالحياة لكنك  
كنت عجولة جداً لدرجة أنك لم تحفظي اسمائنا .

اعذريني يا أمل فلم اتلف لحملك وتقبيلك، كنت خائفة جداً ،  
لكنني كنت غير مصدقة ، كنت انتظر قولهم :-"ها هي تحركت /  
إنها حية ترزق"

رحم الله وردة عطرة لا تغيب عن ذهني .

## مُلهمي

بعد أيامٍ مُنهكة حدّ التعب، نظرت إلى رفّ كُتبي العتيق، الذي قد غطاه الغُبار ورُبّما هندس العنكبوت بيوتاً في زواياه، ورُبّما احتلّ الغبار الصفحات عوضاً عن قلبي، أدركت تماماً أنّي ابتعدت كُلّ البُعد عن عالمي، وأنّي ركضت وراء عالمٍ لا أطيعه حدّ الموت، ولا أرغبه حدّ الحياة . -

شغفي الذي نما قلبي، وأحلامي التي غرست في قلبي، وسُقيت من بريق عيني، دعائم بناء مستقبلي ارتكزت عليهما، لكن!  
لا أعرف لكن ماذا؟ -

أنا التي عُرفت بغرقي بين طيّات الكتب وأوراقها وأروقتها،  
أصول وأجول بين حضارات كُثُر، وأغفو بين الكلمات الجزلة،  
وأغلفة الكتب الثمينة، لكنّي أصبحت الآن ما أنا سوى فتاة تهوى  
الصحافة، تُتابع آخر مُجريات الحدث، وآخر التقنيّات، لأحظى  
باسمٍ يسبق اسمي، ومنصباً جديداً كما خُطط له في شغفي . -

ثمّ ماذا؟

أدركتُ أنّه لا وجود لك من بين حياتي، ولا حتّى مُستقبلي، فأنا  
أخوض حرباً بين عقلي وما يريد من العلم، وقلبي وما يهواه  
من الثقافة. -

لكنّ إن أهديتني كتاباً ستجعل قلبي يرقص فرحاً، ستجعلني أُحلق  
في سماء الحياة، ستجعلني أُحبّك كما أُحبّ كُتبي ومكتبتي  
الصغيرة جداً - أُحبّك يا مُلهم أفكارِي، وكُتبي ومكتبتي الشاسعة

## فيروز على مسمعي وأنت في قلبي

في كلّ مرّة تردد فيروز على مسمعي

"وطنّي... " ولا يهمني الذي يلي تلك الكلمة ، لا أعلم ما الرّابط العجيب بينكما ، مجرد سماعها ترد صورتك في ذهني ، تقتم قلبني مع سطو مسلح يغزو أركان البيت المعمور ، تطرق الباب بقوة وتدفعه لتدخل في قلبي وعيناي ودماعي .

لم تكن كاللذين عبروا ، كنت كضحكة شهيد علقت في ذهن أمه ، كدمعة أسير من شدّة همه ضحك ، كجيش مكافح استولى على أرض جدّه ووضع علمه عليها ، كنت كوطن فقد عزّه لسنوات لكنه عاد بثواره ، كلّ اللذين مرّوا تركوا بصمة سطرها التاريخ

المخلد ضمن عنوان [أبطال صنعوا المجد] ، وأنت كنت كالجيش  
المقاوم الذي سيطر على قلبي وأعلن صورته راية له .

أتعلم أن بضحكائك سيتحرر قلبي من كل شيء ، وبكلماتك  
سنرجم حزننا سوياً ، وبقلبك سيسعدنا العالم رغم ضيقه ،  
وعيناك اللتان يشبهان الوطن لا أجيد وصفهما ، وعمرك الذي  
أتمنى أن يطول إلا أن أرى حدّ السماء !

جميل أنت ، ليس بجمال الوطن ، بل الوطن جميل بجمالك

## لن أكتب اسمي

راسلها على ترانيم صوت الحنون، وتمايلت الغاردينا امتثالاً  
لصوته ثم ابتسمت ثم قالت :-

"إذا كانت كلماتي تجعلك أميراً من أمراء الأساطير ، ويجعلك  
تُسرّ إلى هذا الحدّ الذي لا يمكن حصره ، لأنها تستعير بعضاً من  
خصال ملامحك المغرية ، فما كلماتي إلا شطايا مرآة مُهشمة  
تعرض انعكاساتها الفتانة حينما تراك بل البعض من صورتك.

أنتَ الذي يقف الكلام أمامك عاجزاً عن الوصف ، ومن أجلك  
تحررت كلماتي من المعجم و تدفق أريج الياسمين و الزمبيق ،  
أنت تسطع شمس الأمل لقلبي ، و أنت من لوّنت حياتي ،  
وجعلتني أختلس الثقة منك ، يامن عشقتني لروحي البريئة ،

وابتسامتي الجميلة ، يامن علمتني كيف أنجو من المأزق بأقلّ  
الخسائر المُمكنة ، أُحبّك "

وختمت الرسالة بـ: "لن أكتب اسمي، سأدعك تُخمنه من  
حروفي"

ووضعتها في صندوق البريد القريب من بيته .

## اللقاء الأول

كان يكفيني من لقائنا نظرات عيوننا وكثرة ضحكاتنا ، كانت كافية لاسترداد الرّوح بالرّوح ، كانت بمثابة ألف كلمة تعجز حروف اللغة المتمثلة في ٢٨ حرفاً أن تنطقها ، كانت أقوم من ألف كلمة ، وأبلغ من أن تكتب ، كانت بمثابة عناقاً أبدياً، غير فان.

أنا وأنت ، التقينا بعد عامٍ ، لم تستطع الحدود من حد حُبنا ، ولم تستطع القيود الصّدئة من ضياع مشاعرنا ، حتّى ظروف الحياة لم تكن سوى مُجرد كلمة واحدة وسقطت عمداً.

كُنّا أنا وأنت ولا شيء سوى حُبنا ، لا شيء سوى عينيك والكثير من الحب معك .

كلمات وجيزة ، ضحكات كثيرة ، دقات قلب غير منتظمة ،  
نبضات باسمك ، يدان مرتجفتان، وفم ضحوك وضحوك جداً .

كنت حمقاء معك حدّ الجنون ، لكنني في طبيعتي ، أعرف بأنك  
مُحبّاً لسفاهتي اللامُبرر لها ، ولكنني كُلّي ثقة بأنّي في قلبك  
منزوعة الكره .

لم تبلغ المدة الوافرة ، كانت قصيرة لكنها مليئة بكلّ شيء صادق  
، محفوفة بأمل للقاء مُجدداً ، مُكّلة بأملٍ يجمعنا سوياً لنبقى أنا  
وأنت ، لتبقى أنت أنا وأنا أنت .

دعنا نبقى سوياً ، متشبّثي الأيدي ، لنواجه بغي هذا العالم .  
حين كنت معك ، كنت في حُضن وطن رغم ضيقه مُتسعاً ، رغم  
كلّ شيءٍ إلّا أنّي لأول مرة يرقص قلبي فرحاً .

وأعترف أيضاً أنني أول مرة أنظر إلى أحدٍ وأرى فيه قلبي ، وفي  
بريق عينيه حُبّ لا ينته ، هذه أول مرّة أرى قلبي خارج جسدي  
، أول مرّة أراه جميلاً وجميلاً جداً .

## لم أعد تائهة

سِرْتُ كِ ضَائِعَةٍ وَصَلْتُ مَكَاناً غَيْرَ مَكَانِهَا، ضَعِيفَةٌ؛ خَائِفَةٌ .  
جَلَسْتُ فِي مَقْعَدٍ لَا تُحِبُّهُ وَتَحْمَلُ كِتَاباً لَا تَفْضَلُهُ ، دَاسَتْ عَلَيَّ  
خَيْبَةُ آمَالِهَا وَأَظْهَرَتْ قُوَّتَهَا ، حَاولْتُ أَنْ تَزْهَرَ كَمَا اللَّوزُ وَتُثْمِرَ  
كَمَا شَهْدِ الْخَلِيلِ ، لَكِنِّهَا فَشَلْتُ، خَارَتْ قَوَاهَا وَهَزُمْتُ ، حَاولْتُ  
إِقْطَادَ شَعْلَةَ وَهَنِهَا بِعَزِيمَتِهَا لَكِنِّهَا سُرْعَانَ مَا أَطْفَأْتُ ، حَتَّى جَاءَ  
نُورَ رَفِيقِ الدَّرْبِ ؛ لَانتْ شَفْتِيهَا وَابْتَسَمَتْ وَضَحَكَتْ .

أَمَّا عَنِّي لَمْ أَعُدْ تَائِهَةً؛

طَالَمَا يَدِي مُتَشَبِّةٌ بِقَلْبِكَ، نَبْضَاتِ قَلْبِي تَتَسَارَعُ لِقَرَعِ جُدْرَانِهِ  
حَيْثَمَا تَرَكَ ، قَلْبِي الْغَارِقُ جِدّاً بِحُبِّكَ ، عَيْنَايَ مُنِيرَتَانِ بِكَ ،  
وَشَفْتَايَ ضَاكِحَتَانِ بِقُرْبِكَ، أَنَا فِي مَحْضِ الْآمَانِ طَالَمَا مَعَكَ ، فِي  
قَمَّةِ السَّعَادَةِ طَالَمَا بِقُرْبِكَ ، فِي أَشَدِّ التَّبَسُّمِ طَالَمَا بِجَوَارِكَ .

اثنان وسبعون عاماً " ١ "

رائحة شجر الزيتون

بيارات البرتقال التي لم تعد كذلك

الياسمين الذي لم يُزهر بعد

حصادة القمح التي توقفت عن العمل

ملابس الجدّة التي نُشرت قبل الرّحيل

حجاب الجميلة التي توشّحت بالأحمر

ترانيم الأجداد التي علّقت في الهواء

المجازر التي ارتُكبت

حُزن الكبار

خوف الصغار

دُخان الحرب المتصاعد

دموع الأهالي

الجثث المتفحمة

العيون المقلوعة

الرؤوس المبتورة

نيران السلاح

الرصاص المتلاحق

الهزيمة النكراء

تسليم الوطن للاحتلال

بقاء الوطن وحيداً

عُرْبَة ماحقة

مُخِيّمات بالية ومُهترئة

كرت مُون مُقَطَّع

أطلقوا عليهم لاجئين

أنكر أصلهم

بُعد العائلات

فقر مُطّقع

جوع وجوع

ألم ساحق  
شتات في الشتات  
ذكريات خلّدها التاريخ مرّات عدّة  
الأجداد يموتون والأحفاد يتذكرون  
هم يرحلون وآخرون على العهد باقين  
سئمت البلاد لمن لا يستحق  
وسئمنا الأجداد أجمل شيء  
سئمونا حقّ لا يُزهق  
وعين ماء لا تنضب  
فيها الشتاء وافر

والرَّبِيعُ مُخْضِرٌ

الصَّيْفُ مَعْطَاءٌ

والْخَرِيفُ سَخِيٌّ

أَرْضُ وَطَنِ خُضْرَاءٍ لَا تَعْرِفُ مَعْنَى النَّسِيَانِ

وَسَمَاءٌ صَافِيَةٌ لَا تَعْرِفُ مَعْنَى الْعُرْبِيَّةِ

اِثْنَانِ وَسَبْعُونَ عَاماً عَلَى النَّكْبَةِ

عَلَى الْمُرِّ وَالْعُرْبِيَّةِ

اِثْنَانِ وَسَبْعُونَ عَاماً عَلَى التَّهْجِيرِ وَيُؤَسِّسُهُ

اِثْنَانِ وَسَبْعُونَ عَاماً وَلَا زَالَ الْوَطْنَ فِلَسْطِينَ وَعَاصِمَتَهُ الْقُدْسُ .

خُلْدٌ .

## فيما كُتِبَ فيك

كُتِبَ لكَ... على حافة الطّريق التّائه الذي جمعنا...  
على عُصن الشّجرة التي تمتد جذورها على أطرافه...  
على هديل الحمام، وتناسب صوت الطّيور المُحلّقة في السّماء  
...

على أنسام ترانيم العزوفات المُعانقة للهواء الطّلق...  
إتكَأت على خدي عند نافذة الحافلة وفكرت بِكَ  
كيف أكتب لك وأنت القلم والمُدونة والحروف؟  
كيف أمسك قلمي وأنت حبره المُتجدّد؟

كيف سأكتب فيه وأنت الكلمات ؟

حَسَناً ؛ فَكَّرت كَثِيراً ؛ كَنت أنت أَوَّلَ الفِكرَة وأخِرَ المُفَكِّرَة. ضَحِكت  
على غفلة كنت أنت السَّبب والمُسبب؛ كنت أنت بِرِيقِ الحُبِّ في  
صوتِي، وصداه المُتَمِّم بِك. تَكَلَّمت وكتبت كنت أنت أَوَّلَ الكلام  
وأخِرُه وأوسطه وخيرَ الأُمور أوسطها، فما بِالك حينما تكون  
أنت؟

خَطرت في ذهني مرّة وبقيت مُستقرّاً في خاطر القلب والعقل، لا  
القلب قادرٌ على إنْتزاعك منه ولا العقل سينساک.

عُدت لُمُدُونتي فكتبت؛ على كُلِّ الطَّرق والممرات -والأماكن  
المزدحمة والفقيرة سُكانيّاً- على كُلِّ الأزقة الضيّقة، على كُلِّ شبر  
ضيقٍ ومُتسع في هذا العالم، على كُلِّ العالم هذا ؛ أنت العالم كُلُّه،  
أنت الحُبُّ كُلُّه ؛ كتبتها مرّة وألف مرّة وستبقى حد الفناء ؛ أُحِبُّك

## جدتي جميلة جداً

تجلس لوحدها على الأريكة وكأنَّ خطباً أصابها، تغفو مرة وتمنع  
عينها من النوم مرات، ترتدي زيها الذي حاكته عُرزة عُرزة،  
في بريق عينيها تجدُ ألف قصة، حتّى وإن محتها السنين لن  
يُزيلها مخزن ذكرياتها ... دموعها تسقط دون استئذان ، دون أن  
تُحاول البكاء ، لتجعيد يديها قصصً سطعت عليها شمس ألمها،  
تتذكر كُّل الحدث بدقّة ، وكأّنه بالأمس حدث، كُلماً سُئلت عن  
وطنها المكلوم لا تُجيب بل تسقط ابنة عينها ألف مرّة، تكاد تنسى  
شعرها اللامع تحت الشّمس والمُجدّل كيافا والممشوق كعظمة  
عكّا، عينها اللتان جوفهما تلوّن بالوطن، وثغرها المُبتسم دائماً  
يشرق كُّل يوم ، لقد كانت جدتي جميلةً جداً لدرجة أن الوطن لم  
يستطع حملها حتّى نفاها إلى أطرافه .

## دير ياسين محطة الألم

تذكر ذلك جيداً، حينما سمعوا عن مجزرة دير ياسين وعمّا أحدثته العصابات المُسلّحة هناك، رفضوا الرّحيل، لكنّ الخوف نازعهم إليه، كانوا مُتأملين من العودة بعد يوم أو يومين أو ربّما عشر! وإن طالّت الأيّام فلم تصل إلى حدّ العام الواحد ...

هنا كانوا جالسين مُتكنّين على أرضٍ خُطط لها بالتقسيم والانقلاب؛ ولم يحدث ذلك سوى بهدر دماء السّكان أو ترحيلهم قسراً .

دفعهم الخوف على الأطفال والنساء، كي لا يُقال عنهم فيما بعد بأن شرفكم هُدر، حملوا الأقلّة من أغراضهم وتركوا بياراتهم التي ثمارها لم تنضج بعد، ومزارعهم التي مواشيتها قتلوا على الفور، لم يحملوا سوى آمالهم بالعودة القريبة ... هم انسحبوا

ودخلوا النَّجسَ بعنفوانٍ حادٍ وقلوبٍ لا تسكنها الرَّحمةُ وباشروا  
بِالقتلِ ، من استطاع أن ينفذَ نفذَ ، ومن نفذت إليه آية الحرب  
نفذَ وأبىد .

لم يركن والدها ليرحل ، فجلس وبكى بكاء صغار المهد وأبى  
الرحيل ، لكن الخوف دفعه .

مرارة الهجرة والتَّهجير

أيامٌ قضوها في المشي ، اتَّسخت أحلامهم ، ونُفيت عواطفهم ،  
كان هدفهم الهرب من الحرب ، مشوا بمُحاذاة رؤوس مقطوعة  
وأطرافٍ مبتورة ، عيون مخلوعة ودماء مهدورة ، جُثث محروقة ،  
خبط أقدامهم على تراب مغسول بالدماء ، واستنشقوا دخاناً  
متصاعداً للسماء ، لا يملكون القوت ولا الماء ، كُلُّ ما كان فعلهم  
هو البحث مكان مُمتلئاً بالأمان .

حتى وإن رحلوا فستبقى البلد بالذاكرة

تركوا بلدهم "لقتا" والتي امتلكوا بها الدونمات الشاسعة من الأراضي، وبيارات مُثمرة ومواشٍ مُنتجة، لقد رحلوا وارتحلوا وتركوا الوطن الجميل ، عاشوا في مُخيمات قاسية بالية، لا تسكنها الشمس ولا يرون الزمهير منها، مياه صرف صحي مشتركة مع الجيران ، طعام قليل وبينهم حُبّ كبير ، حاولوا إيجاد البديل لكن الروح التي تركوها هناك لا بديل عنها ...

أطلق عليهم لاجئون، ومآكولهم كرت مؤن مُهتراً ، وورقة لجوء وإن محاهها الزمن فسيبقى ألمها خالداً بهم ! وإن طال الزمان فلن ينسوا ذرة تراب الوطن .

كبرت جدتي وألم الوطن أيضاً

كبرت جدتي كثيراً ، وحب الوطن يكبر بداخلها أكثر فأكثر، كبرت  
وكبرنا ولازلت تُحدثنا عن أرضها التي هناك، وعن بيتها الذي  
تركوه، وعن أحلامهم التي عُلقَت على صدورهم وغُرست في  
فؤادهم .

لم تلبث جدتي لساعة وسرعان ما تذكر وطنها، كيف ستتساه  
وهي ترعرت في ربيعه ورضعت من حليبه ؟

كيف ستنسى وطنها، والكبار حينما تغدرهم ذكرياتهم يتذكرون  
الماضي بحذافيره وينسون الحاضر؟

من أيام قليلة لواحدٍ وسبعين عاماً على الهجرة

اثنتان وسبعون عاماً على الغربة والاحتلال وذكريات الألم  
والطمس ومرارة التجهير وقسوة المُخيمَات عليهم ...

توفيت جدتي ومفتاح عودتها مُعلّقا بـرقبتها ، توفيت ووصيتها لنا  
بأن لا نكل ولا نمل حتى تعود الأرض أرضنا ...

رحلت جدتي لكن الوطن لم يرحل وحبه لن ينضب مادام هناك قلبٌ  
نابض باسم "فلسطين" .

آه يا جدتي واحدٌ وسبعون عاماً عجافاً على تلك المآسي التي  
تجرّعها ذاك الشعب تجلّت في ذكريات أجدادنا ، هم يكبرون  
ونحن أيضاً هم يروون رواية وجعهم ونحن من نتوجّع معهم لكنّ  
الطريق لا يقف عنّا فنحن أيضاً سنروي لأولادنا وأحفادنا عن  
عظمة هذا الشعب الذي كناه القرآن "بالشعب الجبارين" وكيف  
وإن طال الزمان فلن ننسى شبر أرض أخذ منا قسراً ولو بنوا لنا  
قصوراً من الرمال ...

اثنان و سبعون عاماً كافياتٍ لعدم النسيان . فهم يموتون ونحن  
نخوض ميلاد فكرتهم ونحيا بها .

## أنا أنت يا أنا

أشواقٌ مُبعثرة تجتاحني، تتجمّع حولك ، تتوحد وتتهافت صوب  
عنان العشق لتُحلّق كطائر النورس، في جوهرها رسالات تُصوّب  
نحوك ، تحفظ صوتك وتستند إلى صورتك ، تُحاول أن تُرجعك  
لتبقى أنت السّاس والأساس ، لتبقى النّبراس وتاج الرّأس ، لكنّ  
ثمّة عناد بغيض يُلاحق صفوك ، وتعنت مُبالغ به يجتاح عقلك ،  
موجة بُعد وجفاء تُسيطر على قلبك ، تسألني من أنتِ ؟ ومن أنا  
؟

أصمت وهلة وابتسم لأقول لك :

- " أنا حين تكون أنت ، أنا حين تكون أنا " أشير إلى قلبي  
المُشتاق لنظراتك ؛ وأقول بحنين :-

"هُنَا مَسْكَنُكَ يَا مَسْكِنِي وَمُسْكِنِي " وَكَانَتْ صَفْعَتُكَ نَحْوِي أَنَا  
أَنْكَرْتَنِي بِالرَّغْمِ مِنْ مَعْرِفَتِكَ الْعَظِيمَةِ بِي .

تَعُودُ إِلَى أَجْوَانِكَ الْبَائِسَةِ ، وَأَلْفَاظِكَ الْقَاسِيَةِ ، تَرْفُضُ التَّعْبِيرَ  
عَنِّي ، تُتَكْرَمُ مِنْ أَنَا وَكَيْفَ عَرَفْتَنِي ! تَعُودُ إِلَى رُوحِكَ النَّائِمَةِ ،  
إِلَى صَمْتِكَ الَّذِي لَا يُشْبِهُكَ ، تُكْرِرُ سَوَائِكَ مِنْ أَنْتِ ؟  
"أَنَا هِيَ أَنْتِ أَيُّهَا الْوَعْدُ "

رُبَّمَا تَعُودُ إِلَيْكَ ذَاكَرْتِكَ الَّتِي أَحْبَبْتَهَا ، وَابْتَسَامَتِكَ الَّتِي أَغْفُو عَلَى  
أَمْلِهَا ، تَحْضِنُنِي مَرَّةً بِصَفْعَةٍ ، وَأَعُودُ إِلَيْكَ بَعْدَ أَلْفِ وَضَعْفٍ ،

ثُمَّ أَسْتَيْقِظُ مِنْ وَهْلَتِي الْغَرِيقَةَ بِكُلِّ الْعَشَقِ الْأَزْلِيِّ بِكَ عَلَى صَوْتِكَ  
وَأَنْتَ تَقُولُ :

- "مَنْ أَنْتِ"

-أنا أنتِ حتّى تُصْبِحِ السَّمَاءَ أَرْضاً ، أنا أنتِ يا أنا .

## اقتباسات :-

- إن الكتابة هي بمثابة عمودي الفقري، أستند عليها في ضعفي وقلة حيلتي. تقريباً هي التي أعيش لأجلها وأحيا بقربها.
- وكنت حريصة على المواجهة وحدي ، تعثرت كثيراً ، وسقطت أضعافاً ، تلكأت وانهرت ؛ حتى وجدتُك ، صرت قادرة ، صرت أقوى ...أنا بك أقوى .
- لم تكن مجرد دقائق؛ كانت عبارة عن حياة بأكملها.
- -في الغالب ؛

تكون أنت ضحية أخطاء لم تقترفها، ذنبك الوحيد أنك تتم  
لنلك البؤرة.

- السّماء صافية، الشمس مُشرقة، صوت زقزقة العصافير  
على مسامع قلبي، لم تكن كذلك فحسب؛  
بل لأني رأيتك، كلاً!  
لأني أُحبك.  
نظرت للحياة بحُب، ولأنتك معي كانت جميلة، حتّى وإن كان  
الهواء شرفياً ومزعجاً بعض الشّيء،  
كان ذلك كلّهُ لأني أُحبك ...

- "ثمّ إن بريق عينيك مُنيراً لغسق ليلي الغامس، أعرفه حينما  
تُشرق شمس ابتسامتك على حديقة قلبي، فيخضّر ربيعهُ،

وينساب حُبِّك في جوفه ، أعرفه حتّى وإن كان بيننا مِئات  
الأميال ، أعرفه كما أعرّف وطني من بين جُلّ البلاد ؛ فهو  
خالِدٌ في قلبي وأنت كلّ قلبي."

● مررت بقُرب مُرّي وعبرته

● كان وجهه يُسرق بخفة الياسمين؛  
لما غابت البلاد بحثت عنها فيه .

● "إلى الذي رحل..."

انعتق وجهك مع النهار وغرب غروب الشمس ، غطت قلبك  
غيوما ملبدة ، وتغلّف بالآمال المُهبدة ، صرخت من أواسط  
قلبي عُد ، لكنّك غبت كما يغيب القمر أيّاماً ، لازلت أراقب

هلالك لأبتسم ، فموعد ابتسامتي عند رؤيتك ، وموعد  
حزني عند غيابك . "

● استلمت مرسالك بشغف، قرأته بكل حُبّ وشوق، انتظرت  
حروف الزاخرة بالمشاعر الجياشة، والبلاغات الوافرة،  
انتظرت مرسالك على أحر من الجمر، تابعت قراءته وأنا  
سعيدة لكتك كتبت : "رُبما نلتقي في وقت غير معلوم،  
ومكان غير مُسمّى"  
رُبما لا أود رؤياك، رُبما أريدك أنت .

● فككت يداي اللامقيّدة، وتحررت من غرفتي، خرجت من  
بؤسها، نظرت إليها نظرة الحرّ المشتاق للحرية، كبحت  
جماح همومي، وأطلقتها نحو السماء بسعادة بانسة .

• لعبت وسط الحزن، تحمّلت الضّعف تحت مُسمّيات القوّة،  
تمايلت على أنغام أمها الممشوق، وشوقها المرموق، حينما  
سُئلت لِمَ تتحمّلين كُلّ ذلك برحابة صدر، أجابت: "أنا ابنة  
السّماء التي تتحمّل كُلّ ذاك الشّقاء بفرحة وهناء .

• "-على هامش غرورك المُتّعجرف، وكبرياؤك الّلا مُبرر له،  
كتبت على منتصف الطريق الّلا مرسوم بيننا، وعلى جذع  
الشّجرة الموجودة عليه، أنّي أُحبّك كما لو كانت الطريق  
موجودة والشّجرة مزروعة "

● سلامّ وألف قبلة على جبين جدّي الرّاحل، الذي لن يرحل  
عن مُقلتيّ وقلبي أبداً، أقولها لك أنّي مُشْتاقَة لحضنك حدّ  
عنان الشّوق .

● "منذ غيابك وأنا عازفة عن شرب القهوة، فلم تعد تشفي  
جُعبتي ركوتها، ولم يعد نسيمها مُناسباً لي، أنا مُدركة أنّي  
كنت أرْتشِفُ القهوةَ لأنّها مشروبك المُفضّل، أنت الآن  
رحلت وأنا تركتُها، لم أكن أرْتشِفها سِوى لأنّك تُفضّلها،  
سِوى لأنّي أُحبّها، لا بل لأنّي أُحبّك أكثر فأكثر . "

● تناقضت مشاعري أمامك، فتحت باب قلبي على مصراعيه  
لأحتويك، تحدّثت معك تحت نافذة الحلم، بُعيد غروب

الشمس، مع وطأة النجم وظل الغيمة، ناديتك من تحت حُبّ  
دامع، وقلب لك شافع، ظننت بأنك له نافع. صرخت باسمك  
بأعلى صوت تملكه الأرض، فاستقبلت السماء مُناداتي وبقي  
رأيك مُتَعِنّاً، كما الذي في قلبه صخرة يابسة، لا تُكسر ولا  
تُصدّع للكسر .

- وكان الفناء لي بأنّ يتوقف قلّمي عن النبض، وحبره من  
البوح، وأقف مكتوفة الأيدي بلا قلم مملوء الحبر ، أو ورقة  
مُتراسة بالحروف المُتشابكة والكلمات المتناثرة على طياتها
- بلحظة جفاء ، أطفأت صوت العالم بيدي وأشعلت صوتك  
بقلبي، فأنت البلسم المُداوي لجُرْحِي ، وداء عمري المُلازم  
لي وداؤه الذي أشربه بكلّ سرور، أنتظرك لتُغنّ لي ما تيسر

من الأهازيج الجميلة التي تُحفّزنا للبقاء تحت غطاء عشقتنا  
الأزلي للأبد .

- بيني وبينك أوتاد الجبال، ومَشَانق الحياة، حدود طائفة  
مُدججة بالأسلحة وأسلاك شائكة فتّاحة، اتفاقيات باطلية،  
وأصحاب سلام لا يعرفونه وحب واسع الأمد جداً .
- هو ينظر بقلبه وبيصيرته ليطمئن على آخر أخبار وطنه،  
وهي تنظر إلى وطنها لتُبصره بقلبها وتطمئن على آخر  
تفاصيله المُنمقة، وبريق عينيه، ولحيتيه الجميلة وعدد  
شامات وجهه .

- "والذي كُنَّا نهابه صار أمراً واقعياً ؛  
لقد تحوّل التّطبيعُ من خياناتٍ فتّاحةٍ إلى تبريراتٍ غير  
منطقيّة، إلى كُرّةٍ رياضيةٍ في مرمى الأهواء والمصالح ."
- التّطبيع خيانة؛ لا للتّطبيع !
- وطني وموطني وبلدي أنتَ ؛  
ولتُبَادِ الفواصِلَ والعوائقَ والحواجزَ والخرائطَ
- -"ينوء البوح وسط الكتمان ، يُريد الحديث تحت وطأة  
الصّمت ، يُريد أن يُناجيك ، يُريد أن يصرخ ليقول لك :  
"حبيبي"
- -مُلازِمِي الأوّل؛ سَلِّحْ نَفْسَكَ جَيِّداً بِقَلْبِي، جَمِّعْهُ ضِمْنِ  
حِوْزَتِكَ، وَطَيِّ رِصَاصَتَكَ مِنْهُ، اشْعَلْ لَهَيْبَ شَجَاعَتِكَ مِنْهُ،

واظهر له بسالتك في هذا الزمن الأعرج ؛ كي يتسنى لي  
التمجد بك على مرّ الأيام والسنين .  
واعلم جيداً أنّي ولوعة في هواك

• علقت في ذهني هذه الأعزوفة :

- "مطرح ما عيونك بتكون ... بحلم شوفك يوماً ما"

حيث كلّ عيون الشبان تنحدر نحو الحُب، كلّ آمالهم تتجه  
نحو رؤية الحبيب بخير .

لكن !

عيوننا تسير نحو عشيقة واحدة، بوصلة واحدة، جهة لا  
تتغير ، تبقى هي عروسة العرائس، وردة البساتين، وأميرة  
الأميرات ...

تبقى القدس بمآذنها وأجراسها الأمل المرتقب، و الحبّ  
السرمدى.

• ليت في مقدرونا، لملمة شتات ضياعنا، ورؤية الجانب  
الآخر من الكأس، نُجمّع أملنا في حقيقة، نُحضّر حُلْمنا على  
عزم تحقيقه، نجثو على كُرسي الحافلة، نصل إلى رحابِ  
القدس، نرفد إلى الشام ونقطف ياسمينها المُكْتَظ بأمل الخلد  
، ثُمَّ نتجه إلى العراق وتشتر لي من مكتبتها، ونختتم رحلتنا  
بحيفا نجني برتقالها وتجدّل شعري على بحرها ونعود إلى  
حيث بدأ مسارنا .

- مشى مُتخَبِّطاً، لا يدرِ متى وكيف النّجاة ، أشعل فتيل سيجارته عمّ الدّخان أرجائه ، لم يلبث بها حتّى أطفأها في قدمه ، ثمّ رجع وقال لها:  
- "كيف أنجو من عينيك" ؛ لانت شفيتها عفةً ورحلت ، ورحل هو ؛ ثمّ غير مساره و تبعها بخطوات تُمل ."
- -على أوتار الحرب تُعزف ترانيم الحرّية ، ترانيم الحب .  
على أوتار الحرب تُعزف آمال المجاهدين ، ويهتف بها عشاقها.
- وكانت عيناها مزخورتين بالحياة ، مشحونتين بالجمال ، مُشرقتين كما الشّمس، ساطعتين كأملٍ لا ينضب ، مُتدفقتين بكُلّ الحب.

• قد بتر الكيماوي جُلّ أحشائهم وحرّقها، إصْفَرَت عيناهم ، ارتخت وجوههم، تناثرت البثور على وجنتيهم تجهّمت عظامهم ، سقط شعرهم ،تلاشت أحلامهم وتناثرت ، بالرغم من كُُلِّ ما فعله المرض بهم ، لكنّه لم يستطع محو ابتساماتهم البريئة المُفعمّة بالحياة .

• من الخطأ قول سقط شهيدٌ ؛ فالشهداء لا يسقطون ،كيف يحدث و هم من يعلموننا كيف نحيا ، من يرسموا لنا درب الحُرّيّة بالدماء ، من يُفهمونا معنى القضية والوطن ؟ الصّواب قول : ارتقاء الشهداء إلى العلى ، وعودتهم أقماراً مُزينةً سماء هذا الوطن المكّوم .

- "مررت بقلبي كما مرّت حيفا ، مررت واستوطنت عرشه  
وسَطعت محبتك على أركانه ، وما من طريقة لرحيلك سوى  
الكفاح .  
فأيّ كفاحٍ سيُخرجك من قلبِ رآك كحيفا؟"

- دخلت الرصاصات جسده وقطعت شرابينه وأوردته ،  
ومزقت أنسجته ، حتى أن قلبه الهشّ لم يستطع إستعادة  
قواه لينبض مُجدداً ويحيا ، كانت الشّهادة تريده ، وقوّة  
الجدب بينه وبين الجنّة أقوى من كلّ شيء ، استشهد  
واقترش الأرض المروية بدمائه العطرة ، تجمّد لمدة طالّت  
الشّهرين ، و بقيت يده على جبينه ، كأنه نائماً . كانت الأرض

ببرودتها دافئة بالنسبة إليه ، دافئة للحدّ الذي لا تعرفه  
الثّلاجة .

• بروز شرايين اليد النّاصعة تعني أنّها في دمه ، أو رماديّة  
الصّورة المائلة إلى السّواد الحالك المغمّس ببياضٍ وضّاح .  
كلّها معانٍ تُشير بأنّها طالما معه لا ظلّمة تطرّق باب قلبه ،  
ولا غربة تختبئ تحت وطأة حُبّهما .  
هي من ضلعه وفي ضلعه موضوع حُبّهما .

• قلت لجدّي النّائم طويلاً ، الغير منزوع من قلبي :  
"هنيئاً لقبرك قد أنير بابتسامتك ، ليتني أراك ولو لوهلة ،  
ليت طيفك يزورني ولو للحظة "  
أحبك جدّاً

